بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: (قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (141)

(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) أي: وبالإضافةِ إلى أنَّ ربَّنا واحدٌ، ليس ربًّا لكم دُوننا، فلكلٍّ منا أعمالُه التي اكتسبها وسيُجازيه الله تعالى بها؛ فأنتم لستم بأفضلَ منَّا، بل نحن أَوْلى بالله منكم؛ لأنَّنا لا نُشرِك به شيئًا في عبادته، وأنتم تُشركون؛ فكيف تدَّعون زُورًا ما نحن أَوْلى به منكم. موسوعة التفسير

⇦يقول تعالى مرشداً نبيه صلى الله عليه وسلم إلى درء مجادلة اليهود والنصارى.

(قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ) أي: تناظروننا في توحيد الله والإخلاص له والانقياد واتباع أوامره وترك زواجره.ابن كثير

(وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) المتصرف فينا وفيكم المستحق لإخلاص الإلهية له وحده لا شريك له. ابن كثير

وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ أي: نحن برآء منكم ومما تعبدون وأنتم برآء منا. ابن كثير

كما في الآية الأخرى (وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (41)يونس

(وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) أي: مخلصون له في العبادة والتوجه. ابن كثير

⇦ وفيه توبيخ لليهود والنصارى، والمعنى وأنتم به مشركون.

⇦والإخلاص أن يخلص العبد دينه، وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله.

✉قال سعيد مصطفى ذياب: من البلاء أن يجادل اليهود والنصارى وهم أهل شرك وضلال، المؤمنين الموحدين في توحيد الله تعالى.

✉ومن البلاء أن يتكلم باسم الدين أبعدُ الناس عن الدين، ومن يريدون إقصاءه عن حياة الناس ⇦ومن البلاء أن يأمرَ تاركُ الصلاة المجاهرُ بالمعصية، المتدينين بالاستقامة⇦ومن البلاء أن تَرَى المتبرجةُ تاركةُ الصلاة، نفسهَا خيرًا من المحجبة الملتزمة بشرع الله تعالى⇦هذا يحدث في كل زمان وفي كل مكان وفي كل عصرٍ، وفي كل مصرٍ، نرى ونسمع من يعيب على أهل التدين تدينهم، وهذا الذي بسط لسانه بالسوء، يرى نفسه أقرب إلى الله، وأهدى من المتدينين سبيلا.
✉زَعَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى على كفرهم وضلالهم أَنَّهُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ مِن النَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه لأَنَّ نَبِيَّهُمْ قَبْلَ نَبِيِّنَا، وَكِتَابَهُمْ قَبْلَ كِتَابِنَا، ونسوا أنهم ملعونون على لسان داود وعيسى بن مريم، وتناسوا أنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل، ونسوا أنهم قالوا عن الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ 181ونسوا أنهم قالوا عن الله تعالى: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ}. سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ 64
✉ومع ذلك يظنون أنهم أكثر تديناً من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد عبدوا العجل من دون الله، وقالوا لموسى عليه السلام: {يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}. سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ 55

❁اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن، وعمى البصائر، ومزالق الأهواء

والأدلة على وجوب الإخلاص كثيرة:

وقال تعالى (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (14) غافر

وقال تعالى (قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي) (14) الزمر

وقال تعالى (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) (11) الزمر

وقال صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه.

قال ابن المبارك -رحمه الله -: "رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظمَّه النية، ورُبَّ عملٍ كبيرٍ تُصغرَّهُ النية"

⇦يجب أن يقف العبد قبل كل عمل -صغيرٍ أو كبير، كان كلمةً أو موعظة، مقالاً أم تعقيباً، تضحيةً بوقت أو بمال-أن يقف وقفةً من ترتعدُ فرائصه من قول خالقه ومالك أمره: (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا) (23) الفرقان.

جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقالَ: أرأيتَ رجلًا غزا يلتمسُ الأجرَ والذِّكرَ، ما لَهُ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ: لا شيءَ لَهُ فأعادَها ثلاثَ مرَّاتٍ، يقولُ لَهُ رسولُ اللَّهِ: لا شيءَ لَهُ ثمَّ قالَ: إنَّ اللَّهَ لا يقبلُ منَ العملِ إلَّا ما كانَ لَهُ خالصًا، وابتغيَ بِهِ وجهُهُ) صحيح النسائي.

قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: (أنا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فيه مَعِي غيري، تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ) رواه مسلم.

قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عليكُمُ الشِّركُ الأصغرُ، الرِّياءُ، يَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ إذا جَزَى النَّاسَ بأعمالِهِم: اذهَبوا إلى الَّذين كنتُم تُراؤُون في الدُّنيا، فانظُروا هل تَجِدون عندَهُم جَزاءً؟) صحيح الترغيب

قال الشيخ سليمان اللهيميد للإخلاص فضائل:

أولاً: أنه سبب لمغفرة الذنوب.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه -أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم -قال: (بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له) رواه بخاري

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: -(أنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فأخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ له به حتَّى أرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فأدْخَلَهُ الجَنَّةَ) صحيح بخاري

الاخلاص سرهداية كثيرمن الناس الى عمل الصالحات، واعانتهم للمداومة عليها، وتعسيلهم وإبدال السيئات حسنات، وهذا من فضل الله على عباده.

ثانياً: أنه يصرف الفتنه عن القلب.

قال الإمام ابن تيميه: فلا تزول الفتنة عن القلب إلا إذا كان دين العبد كلّه لله عز وجل.

ويوسف عليه السلام ما نجى من فتنة المرأة إلا بالإخلاص لله تعالى قال تعالى (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) يوسف.

قال الإمام ابن تيميه: فإن قوة إخلاص يوسف عليه السلام وخشيته من الله عز وجل كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبه لها.

ثالثاً: أنه به تكمل العبودية لله تعالى .

قال الإمام ابن تيميه: وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته.

⇦لأن بالإخلاص تقبل الأعمال وترفع إلى الله، وكلما قبل العمل ارتفعت المنزلة والدرجة عند الله تعالى لذلك العبد، ولهذا كان من أبرز صفات المقربين والسابقين عند الله هو "إخلاصهم لله"فبالإخلاص ارتفعوا عن الناس وأصبحوا في أعالي عليين.

رابعاً: أنه سبب لاستغناء القلب عن الناس.

قال الإمام ابن تيميه: لا يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يحب إلا له ولا يبغض إلا له.

خامساً: أنه سبب لمضاعفة الحسنات.

قال تعالى (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) البقرة.

قال ابن كثير: وقوله ههنا (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) أي: بحسب إخلاصه في عمله.

وقال صلى الله عليه وسلم (يُضاعفُ؛ الحسنةُ بعشرِ أمثالِها، إلى سَبْعِمائةِ ضِعفٍ...) صحيح الترغيب

قال ابن رجب: ومضاعفة الأجر بحسب كمال الإسلام، وبكمال وقوة الإخلاص في ذلك العمل.

وقال صلى الله عليه وسلم (صلاةُ الرجلِ تَطوُّعًا حيث لا يَراهُ الناسُ تَعدِلُ صلاتَهُ على أعْيُنِ الناسِ خمسًا وعِشرينَ) صحيح الجامع

سادساً: أنه سبب لقبول الدعاء وتفريج الكرب.

والدليل على ذلك: قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وفيها أنهم قالوا: (اللَّهُمَّ فإنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلكَ ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) صحيح بخاري.

سابعاً: أنه سبب للنصر على الأعداء.

قال النبيُّ ﷺ: (إنَّما يَنصرُ اللهُ هذِهِ الأمَّةَ بضَعيفِها، بدَعوتِهِم وصَلاتِهِم، وإخلاصِهِم) السلسلة الصحيحة

ثامناً: أنه ينجي العبد من النار يوم القيامة.

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: (فإنَّ اللهَ قدْ حَرَّمَ علَى النَّارِ مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بذلكَ وجْهَ اللهِ) رواه البخاري

✉قال الإمام ابن تيميه: فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار، فمن دخل النار من القائلين لا إله إلا الله، فإن ذلك دليل على أنه لم يحقق إخلاصها المحرم له على النار.

وتأمَّل فيما رواه البخاري عن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه -: أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، التَقَى هو والمُشْرِكُونَ، فَاقْتَتَلُوا، فَلَمَّا مَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى عَسْكَرِهِ، ومَالَ الآخَرُونَ إلى عَسْكَرِهِمْ، وفي أَصْحَابِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَجُلٌ، لا يَدَعُ لهمْ شَاذَّةً ولَا فَاذَّةً إلَّا اتَّبَعَهَا يَضْرِبُهَا بسَيْفِهِ، فَقالَ: ما أَجْزَأَ مِنَّا اليومَ أَحَدٌ كما أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أما إنَّه مِن أَهْلِ النَّارِ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا صَاحِبُهُ، قالَ: فَخَرَجَ معهُ كُلَّما وقَفَ وقَفَ معهُ، وإذَا أَسْرَعَ أَسْرَعَ معهُ، قالَ: فَجُرِحَ الرَّجُلُ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بالأَرْضِ، وذُبَابَهُ بيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ علَى سَيْفِهِ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسولُ اللَّهِ، قالَ: وما ذَاكَ؟ قالَ: الرَّجُلُ الذي ذَكَرْتَ آنِفًا أَنَّهُ مِن أَهْلِ النَّارِ، فأَعْظَمَ النَّاسُ ذلكَ، فَقُلْتُ: أَنَا لَكُمْ به، فَخَرَجْتُ في طَلَبِهِ، ثُمَّ جُرِحَ جُرْحًا شَدِيدًا، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ في الأرْضِ وذُبَابَهُ بيْنَ ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تَحَامَلَ عليه فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عِنْدَ ذلكَ: إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ، وهو مِن أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ، فِيما يَبْدُو لِلنَّاسِ، وهو مِن أَهْلِ الجَنَّةِ)

يجب على العبد أن يقف وقفةً من يحذر أن يكون ممن وصفهم الإمام ابن الجوزي -رحمه الله -: "والله لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت والتخشع في نفسه ولباسه، والقلوبُ تنبو عنه، وقدره في النفوس ليس بذاك، ورأيتُ من يلبسُ فاخر الثياب، وليس له كثير نفل، ولا تخشع، والقلوبُ تتهافتُ على محبته، فتدبرتُ السبب فوجدته السريرة! فمن أصلح سريرته فاح عبيرُ فضله، وعبقت القلوب بنشرِ طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفعُ مع فسادها صلاحٌ ظاهر".

وقال ابن القيم في عدة الصابرين: من عوّد نفسه العمل لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره، ومن عوّد نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من الإخلاص والعمل لله، وهذا في جميع أبواب الأعمال، فليس شيء أشق على المنفق لله من الإنفاق لغيره وكذا بالعكس.

وقال ابن المبارك: ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(141)

(أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) أي: يُوبِّخ الله تعالى ويُنكِر على اليهود والنَّصارى الذين يحاجُّون في رُسل الله عزَّ وجلَّ بعد محاجَّتهم في دِين الله تعالى، فيَزعُمون أنَّ الرسل المذكورين كانوا على مِلَّتهم، إمَّا اليهوديَّة وإمَّا النصرانيَّة، زاعمين بذلك أنَّهم أَوْلى بأولئك الرُّسُل الكِرام من المسلمين، وهذا مِن سفَههم؛ فكيف يكون هؤلاء هودًا أو نصارى، واليهوديَّة والنصرانيَّة إنَّما حدَثتْ بعدَهم. موسوعة التفسير

(قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ) أي: قل لهم: يا محمَّد -إنِ ادَّعوا أنَّ إبراهيمَ، وإسماعيلَ، وإسحاقَ، ويعقوبَ، والأسباطَ كانوا هودًا أو نصارى-: هل أنتم أعلمُ بالدِّين الذي كانوا عليه، أم اللهُ.موسوعة التفسير

ينكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية، فقل لهم يا محمد: بل الله أعلم، وقد أخبر تعالى أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى كما قال تعالى (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 140

قال سعيد مصطفى ذياب: إلى الذين يعترضون على شرع الله تعالى، ويطعنون في أحكامه، ويزعمون أن ما وضعه البشر للبشر من أحكامٍ أحسن حالًا مما شرعه الله تعالى، يقال لهؤلاء: {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} .

وكيف يضع البشر لأنفسهم قوانين وأحكامًا، وهم لا يعلمون عن أنفسهم إلا القليل، والعجب أنهم لا يرتضون للآلة أن تعمل على وفق نظام صانعها، ويتعبر من خالف ذلك متعديًا.

والإنسان صنعة الله تعالى، {صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}. سورة النمل: الآية/ 88

والله تعالى أعلم بما يصلح عباده إذا تطرق إليهم فسادٌ، وأعلم بما يحفظهم من الشرور والمهالك، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. سورة الملك: الآية/ 14

وليس العجب أن يطعن كافرٌ في شرع الله تعالى، ولكن العجبَ كلَ العجبِ أن يطعن مسلمٌ فيه.

وشرع الله تعالى أتى بجلب المصالح وتكميلها، ودرأ المفاسد وتقليلها.

وما من خير إلا وقد دلنا عليه ربنا في كتابه، وفي سنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما من شر إلا وقد حذرنا الله تعالى منه.

ولهؤلاء الذين تعترضون على أحكام الشرع نسوق هذا الخبر :عُقِدَ مؤتمرٌ للحقوق بكلية الحقوق بجامعة فيينا في مطلع القرن الماضي، وقام عميد كلية الحقوق وكان يقال له شاترل فقال: إن البشرية لتفخر أن ينتسب إليها رجل كمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ أنه قد أتى بتشريع منذ أربعة عشر قرنًا سنكون نحن الأوربين أسعدَ ما نكون إذا وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة (هذا ديننا)(ص: 207) اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ) أي: لا أحدَ أشدُّ ظلمًا في كتمان الشهادة، ممَّن كتَموا ما أنزله الله تعالى في كتُبه، من أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مُسلِمين، فكتموا ذلك ونَحَلوهم اليهوديَّةَ والنصرانيَّة، وقيل: ما كتموه ممَّا جاء في كتُبهم من العِلم بصِفات رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وإثبات نبوَّته.موسوعة التفسير

⇦لا أحد أظلم ممن أخفى وكتم ما اشتملت عليه آيات التوراة والإنجيل من البشارة برسول الله.

عِظَم ذَنب كتْمِ العِلم، فإنَّ العالِم بشريعة الله عنده شهادةٌ من الله بهذه الشَّريعة، كما قال الله تعالى:(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) [آل عمران: 18]؛ فكلُّ إنسان يكتُم علمًا، فقد كتَم شهادةً عنده من الله.موسوعة التفسير

قال سعيد مصطفى ذياب: لا أحدَ أعظمَ ظلمًا، مِمَّنْ ائْتَمَنَهُ الله على شَهَادَةٍ فكتمها، وجحدها، واشترى بها ثمنًا قليلًا، فَعَلَ ذلك اليهودُ عليهم لعائنُ اللهِ المتتابعةُ إلى يوم القيامة، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}. سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ 187
فقد أَخَذَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ والميثاق عَلَى أَلْسِنَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ يعلنوا ذِكْرَهُ فِي النَّاسِ لِيُؤْمِنُوا به ويتابعوه إِذَا أَرْسَلَهُ اللَّهُ تعالى، فَنَبَذُوا عهدَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، وكَتَمُوا شَهَادَةً استودعهم اللَّهُ إياها، فليس أحد أسوأ منهم حالًا، وليس أحد أقبح منهم مآلًا.
وَمِمَّنْ ائْتَمَنَهُم الله على دينه، علماءُ هذه الأمة، أمرهم الله تعالى أَنْ يَبْذُلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، الدَّالِّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا يَكْتُمُوا مِنْهُ شَيْئًا، وحذرهم أشدَ التحذير أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَ اليهودِ، فَيُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فقَالَ: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} سورة آل عمران: الآية/ 79
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، بسند صحيح
فكل من كتم شيئًا من دين الله تعالى، أو أحلَ حرامًا أو حرمَ حلالًا قاصدًا، أو جحد حكمًا شرعيًا، أو اشترى به ثمنًا، من علماء هذه الأمة فهو متشبه باليهود، ولا ينتظرُ إلا مصيرًا كمصيرهم، وعقابًا كعقابهم.
لذا قال عبد الله بن المبارك: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود⇦اللهم إنا نعوذ بك من الضلال بعد الهدى، ومن الغي بعد الرشاد.

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) أي: هذا تهديدٌ، ووعيدٌ شديدٌ لأولئك اليهود والنَّصارى، الذي يَكتُمون ما أُنزل إليهم من العِلم، بمجازاتِهم على ذلك؛ فاللهُ تعالى ليس بساهٍ عنهم، بل هو مُطَّلِعٌ على أعمالِهم، وقد أحصاها صغيرَها وكبيرَها، لا تخفَى عليه منهم خافيةٌ. موسوعة التفسير

⇦أي: أن علمه محيط بعلمكم وسيجزيكم عليه.

قال ابن عثيمين: ثبوت الصِّفات المنفيَّة؛ وهي ما نفاه اللهُ سبحانه وتعالى عن نفْسِه؛ لقولِه تعالى: (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)؛ فإنَّ هذه صفةٌ منفيَّة، وليست ثبوتيَّة، والصِّفات المنفيَّة متضمِّنة لإثبات كمال ضدِّها؛ فلكمالِ مُراقبتِه، وعِلمه سبحانه وتعالى، فليس بغافلٍ عمَّا نعمل.

قال سعيد مصطفى ذياب: يالها من كلمة تقض المضاجع، وتعقد الألسن، وتزلزل القلوب، الله يرى فعلك، ويسمع ما تقول، يعلم ما تحدث به نفسك، وما يدور في خلدك، سرك عنده علانية، {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}. سورة الْحَجِّ: الآية/ 70
⇦نعم إن الله، {يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}. سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ 3 نعم إنه الله الذي: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ}. سورة سَبَإٍ: الآية/ 3 وهل يشك في ذلك مؤمن؟ {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ}. سورة التَّوْبَةِ: الآية/ 78

فإذا سترك فبفضله، وإذا لم يفضحك فبرحمته، وإذا لم يعاجلك بالعقوبة فبرفقه بك، فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا تَعْمَلُ، وإياك أن تظن أن الله لايدري بما تدبر، ولا تتوهم أن ما تخفيه، عنه يغيب، {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}، بل إنه يعلم ما هو أخفى من السر، {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}. سورة طَهَ: الآية/ 7

الغيب عنده علانية، ألم تسمع قول الله تعالى: {سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ}. سورة الرَّعْدِ: الآية/ 10

⇦هل تؤمن بهذا؟ هل عندك يقين في ذلك؟ فماذا ستجيب إذا قال لك غدًا: عبدي لم جعلتني أهون الناظرين إليك؟

❁اللهم ارزقنا قبل الموت توبة، تغسل بها ذنوبنا، وتستر بها عيوبنا، وترضى بها عنا.

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (141)

أي: يا معشرَ اليهود والنَّصارى، دَعُوا ذِكر الآباء والأجداد، كإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ، والمسلمين من أولادِهم؛ إذ لا يَنفعُكم الانتسابُ إليهم وإلى أعمالهم الصالِحة، فخيرُهم لا ينفعُكم إنْ كسبتم شرًّا؛ فإنَّهم جماعة قد مضَتْ لسبيلها، وكلٌّ منكم له عملُه الذي يخصُّه، وتَبِعَتُهُ، من خيرٍ أو شر، ولا يَلحق الآخَر من ذلك شيءٌ، ولا السُّؤال عنه، فلا تُحاسَبون بأعمال سَلَفِكم، وإنَّما تُحاسَبون بأعمالكم. موسوعة التفسير

وقال الشيخ اللهيميد قد قيل في تكرارها أقوال:

قال القرطبي: أنه كررها للتهديد والتخويف، والمعنى: أنه إذا كان أولئك الأنبياء على طاعتهم لله وفضلهم يُجازون يوم القيامة بكسبهم فأنتم أحرى أن تجازون بكسبكم كذلك.

⇦**وقيل**: أنه كررها لقطع التعلق بالمخلوقين وتنبيهاً لليهود ولمن يتكل على فضل آبائه وأجداده وشرفهم كي لا يتكلوا على فضل الآباء.

وقيل: كررها لشدة الحاجة إليها.

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (142)

المعنى الإجمالي:أخبَر اللهُ تعالى أنَّ الجاهلين من النَّاس من يهودٍ ومشركين ومنافقين-ممَّن لا يَعرفون مصالح أنفسهم، بل يُضيعونها- سيتساءلون اعتراضًا - والرِّيبة تملأ قلوبَهم - عن السَّبب الذي صرَف المسلمين عن استقبال بيت المقدِس، فأمَر اللهُ نبيَّه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ أن يُجيبهم بأنَّ مُلك المشرق والمغرب وما بينهما هو لله سبحانه وتعالى وحْدَه؛ فله أن يأمُرَ باستقبال أيِّ جِهة أراد؛ فإنَّه يُوفِّق مَن يشاء إلى سلوك الطَّريق القويم في امتثال الأمر بالتوجُّه للكعبة وفي كلِّ ما يأمر به سبحانه.

⇦هذه الآية أول نسخ في القرآن الكريم

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها :لَمَّا تكرَّر في الآيات السابقةِ التنويهُ بإبراهيم عليه السلام وملَّته، والكعبةِ، وأنَّ مَن يرغب عنها قد سفِه نفْسه، فكانت مثارًا لأنْ يقول المشركون: ما ولَّى محمدًا وأتْباعَه عن قبلتهم التي كانوا عليها بمكَّةَ -أي: استقبال الكعبة -مع أنه يقول: إنَّه على مِلَّة إبراهيم، ويأبى اتِّباع اليهوديَّة والنصرانيَّة؛ فكَيف ترك قِبلةَ إبراهيم واستقبلَ بيت المقدس؟! وقد علم اللهُ تعالى ذلك منهم فأنبأ رسولَه صلَّى الله عليه وسلَّم بقولهم .

سبب النُّزول:عن البَراء بن عازبٍ رضي الله عنه، قال :(كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ صلَّى نحوَ بيت المقدِس سِتَّةَ عَشرَ، أو سبعةَ عَشرَ شهرًا، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ يحبُّ أن يُوَجَّه إلى الكعبة، فأنزل الله قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ

فِي السَّمَاءِ فتوجَّه نحو الكعبة، وقال السفهاء من النَّاس- وهم اليهود :- مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فصلَّى مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ رجلٌ، ثمَّ خرَج بعدما صلَّى، فمرَّ على قومٍ من الأنصار في صلاة العصر نحوَ بيت المقدس، فقال: هو يَشهدُ أنَّه صلَّى مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأنَّه توجَّه نحوَ الكعبة، فتَحرَّف القومُ حتى توجَّهوا نحوَ الكعبة).رواه بخاري

قال ابن كثير: قيل المراد بالسفهاء هاهنا: المشركون ; مشركو العرب، قاله الزجاج. وقيل: أحبار يهود، قاله مجاهد. وقيل: المنافقون، قاله السدي. والآية عامة في هؤلاء كلهم، والله أعلم.

قال السعدي: دلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالقبول والانقياد والتسليم.

كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} الآية، {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} وقد كان في قوله {السفهاء} ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به.السعدي

وهنا قاعدة أن أوامر الله ونواهيه لا ترتبط بالعلة، إنما العلة تعبدية، يكفي أن نعلم أن الله سبحانه به جل جلاله هو الآمروالناهي، ولو أن الله سبحانه بين لنا السبب أو العلة في تغيير القبلة لما كان الأمر امتحانا للإيمان في القلوب، لأن الإيمان والعبادة هي طاعة معبود فيما يأمر وينهى، سواء علمنا الحكمة أو جهلنا.

يأمرنا الله أن نعظم الحجر الأسود الموجود في الكعبة ونعظمه بالاستلام والتقبيل، ويأمرنا برجم هذا الحجر الذي يرمز إلى إبليس فنرجمه بالحصى، ولا يذكر لنا سبحانه لماذا؟ ولو بدأ كل أحد يناقش ويحاور باحثاًعن السبب لضاع الإيمان، وأصبحت مسألة إقناع واقتناع، وهذا يظهر على الحقيقة المناقدين المستسلمين، الخاضعين، من المجادلين، المستكبرين الذين يحكمون عقولهم على النصوص.

إذن يكفي معرفة أن الآمر الناهي هو الله سبحانه، ولو أننا امتنعنا عن شرب الخمر لأنها ضارة بالصحة أو تفسد الكبد فلا ثواب لنا، ولو امتنعنا عن أكل لحم الخنزير لأن فيه كمية كبيرة من الكولسترول وله مضار كثيرة فلا ثواب لنا، ولكن لو امتنعنا عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير لأن الله حرمهما فهذه هي العبادة وبه يحصل الثواب والجزاء.

قال ابن القيم: وكان لله في جعل القبلة إلى بيت المقدس؛ ثم تحويلها إلى الكعبة حِكَم عظيمة، ومحنةٌ للمسلمين والمشركين واليهود والمنافقين،

فأما المسلمون، فقالوا: سمعنا وأطعنا، وقالوا (آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) وهم الذين هدى الله، ولم تكن كبيرة عليهم.

وأما المشركون، فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا، وما رجع إليها إلا أنه الحق.

وأما اليهود، فقالوا: خالف قبلة الأنبياء قبله، ولو كان نبياً لكان يصلي إلى قبلة الأنبياء.

وأما المنافقون، فقالوا: ما يدري محمد أين يتوجه، إن كانت الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية هي الحق، فقد كان على باطل، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس.

قال الشيخ سليمان اللهيميد: قوله تعالى (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ...)

ان هذا إخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بأن السفهاء من اليهود والمنافقين سيقولون هذه المقالة عند أن تتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

قال الرازي فائدة ذلك:

أولاً: أنه عليه الصلاة والسلام إذا أخبر عن ذلك قبل وقوعه، كان هذا إخباراً عن الغيب فيكون معجزاً.

وثانيها: أنه تعالى إذا أخبر عن ذلك أولاً ثم سمعه منهم، فإنه يكون تأذيه من هذا الكلام أقل مما إذا سمعه منهم.

وثالثها: أن الله تعالى إذا أسمعه ذلك أولاً ثم ذكر جوابه معه فحين يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم منهم يكون الجواب حاضراً، فكان ذلك أولى مما إذا سمعه ولا يكون الجواب حاضراً. [مفاتيح الغيب: 4 / 83].

وقيل: إن الإخبار بهذا الخبر كان قبل التحول إلى الكعبة، وأن فائدة ذلك أن الإخبار بالمكروه إذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهوين لصدمته وتخفيف لروعته، وكسراً لسَوْرته.

✉سميت القبلة قبلة لأن المصلي يستقبلها.

النبي صلى الله عليه وسلم حينما كان يستقبل بيت المقدس هل كان ذلك بوحي من الله أو باجتهاد منه؟

قال القرطبي الذي عليه الجمهور: أن ذلك كان بأمر الله ووحيه ثم نسخ بعد ذلك وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة، واستدلوا بقوله تعالى (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ...) وهي واضحة الدلالة، وهذا القول هو الصحيح.

قال القرطبي: دلت الآية على جواز نسخ السنة بالقرآن، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس، وليس في ذلك قرآن، فلم يكن الحكم إلا من جهة السنة ثم نسخ ذلك بالقرآن، وعلى هذا يكون (كنت عليها) بمعنى أنت عليها.

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا) أي: سيتساءل الجُهَّال وخِفاف العقول من النَّاس-وهم اليهود، وأهل النِّفاق، والمشركون-سيتساءلون عن المسلمين مُعترضين، بحيرةٍ وارتياب: أيُّ شيء صرَفَهم عن التوجُّه إلى بيت المقدِس في صلاتهم؛ فحوَّلوا وجوههم عنه.موسوعة التفسير

✉**قال سعيد مصطفى ذياب** : وقد يظهر السفه في الاستطالة على دين الله تعالى، بالطعن في أحكامه، والنيل من قدسيته، وهذا الصنف من الناس ليس لما عندهم من السفه علاجٌ، ولو مات الواحدُ منهم على ذلك، أعني مات وهو يطعن في أحكام الشرع، فيصفها تارة بالرجعية والتخلف، وتارة بالتزمت والتشدد، وتارة بالغلظة والقسوة، ويجعل الدين محطًا للسخرية والاستهزاء، ومادة للتندر والنكات، لو مات على ذلك فليس له إلا النار؛ لأن هذا ليس شأن المؤمنين، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ).

(قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي: قلْ يا محمَّدُ، لهؤلاء المتسائلين: لله تعالى وحْده دون غيرِه مُلكُ المشرق والمغرب وما بينهما، فكلُّ الجِهات مخلوقةٌ ومملوكة له؛ فله أن يأمُرَ بالتوجُّه إلى أيِّ جِهةٍ شاء سبحانه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (قُلْ) أي : أنزل الله جواباً لهم (لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أي : الحكم والتصرف والأمر كله لله (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) و (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) فحيثما وجهنا توجهنا ، فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة ، فنحن عبيده وفي تصرفه ، وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمته عناية عظيمة ، إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض ، إذ هي بناء الخليل .

وقال القرطبي: أي: له ملك المشارق والمغارب وما بينهما، فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء .

(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي: إنَّ الله تعالى يُرشد ويوفِّق بحِكمته مَن يشاء مِن خَلْقه إلى الطَّريق القويم، وقد هدى اللهُ تعالى المؤمنين إلى قِبلة إبراهيمَ عليه السَّلام التي ضلَّ عنها غيرُهم. موسوعة التفسير

قال الشوكاني: إشعار بأن تحويل القبلة إلى الكعبة من الهداية للنبي لأهل ملته إلى الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

📃**قال الشيخ ابن عثيمين:** قوله تعالى (مَنْ يَشَاءُ) فيه إثبات المشيئة لله، وليعلم أن كل شيء علّقه الله بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة، أي: أنه ليست مشيئة الله مجردة هكذا تأتي عفواً، لا، هي مشيئة مقرونه بالحكمة، والدليل على ذلك، قوله تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) فلما بيّن أن مشيئتهم بمشيئة الله، بيّن أن ذلك مبني عن علم وحكمة.

✋**وجوب الانقياد لله والسمع والطاعة، لأن هذا هو مقتضى العبودية الحق.**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 142

✉الذي يملك هدايتك وتوفيقك، هو الذي يملك أمرك، وأمر كل الكائنات، والذي يملك الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، ويملك الكون كله، قلوب الخلق بين إصبعين من أصابعه، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ رحمةً منه وفضلًا، ويضل من يشاء حكمةً منه وعدلًا.
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». رواه الترمذي

✉ولا يملك الخلق جميعًا هداية إنسان ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولو بلغت محبته شغاف قلوبهم، ألم تسمع إلى ما قاله الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في شأنه عمه الذي كان حريصًا على هدايته؟ قال سبحانه وتعالى له: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} سورة الْقِصَصِ: الآية/ 56

✉وبين خلق الله تعالى للكائنات وهداية الخلق صلة وثيقة كما في الآية، ويظهر هذا جليًا في ما ثبت عن عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»رواه مسلم

⇦اللهم يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، واهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.